

### دعوة المظلوم السلاح البتار



الثلاثاء 10 مارس 2020 11:04 م

بِقلم: صادق أمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، واهتدى بهداه.

وبعد، فإن ما تمر به مصرنا الحبيبة من محنة ورّطها فيها قادة الانقلاب العسكري الفاشي، الذي تحرك قائده أحلام السلطة وعشق الرئاسة، هي محنة غير مسبوقة، فلأول مرة في تاريخ هذا الشعب الحر الكريم يكون جيشه هو الذي يعتدي عليه بدلا من حمايته، ولأول مرة في تاريخه ينزل جيشه إلى شوارعه بكل هذا العتاد، ويترك حدوده وتكنايته مكشوفة لعدوه المتربص به، ولأول مرة يعلن أعداء الأمة الصهاينة وبكل وقاحة وصراحة دعمهم الكامل للجيش المصري! بل يتجول ساسة العدو للترويج له في عواصم العالم واستجداء الدعم له من ساسة الدنيا، والدفاع عنه في كل المنتديات الدولية، بعد أن تبدت كل قادة العالم الحر، بل ويؤكد الصهاينة أعداء الأمة اطمئنانهم لقيام الجيش المصري بتحمل عبء مواجهة المقاومة الفلسطينية نيابة عن الصهاينة؟ فأى هوان أو صلنا إليه هذا الانقلاب، وأي عار سيكتبه التاريخ عن قادة هذا الانقلاب الآثم؟ وأي خزي سيلقوته يوم يلقون ربهم؟.

إن هذا كله يوجب على الأحرار الثائرين المجاهدين إدراك عظم المهمة التي يقومون بها في إسقاط هذا الانقلاب، التي هي في الحقيقة ليست إنقاذاً لمصر فحسب، بل هي إنقاذ للبشرية كلها، ولقيم الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية بشكل عام، ومن ثم ينطلقون بروح الجسارة والشجاعة وبعزيمة المؤمنين الصادقين في جهادهم وثورتهم، غير آبهين بحملات التخويف الفارغة، وحملات التذليل والتثبيط والإرجاف المتتابعة، ومعتمدين على الله أولاً وأخيراً، ثم على إيمانهم بعدالة قضيتهم، وثقتهم بقدرتهم على تحقيق أهدافهم بإذن الله.

#### الظلم عنوان الضعف

إن الظلم الكبير بكل صورته المادية والمعنوية الذي يمارسه الانقلاب الفاشي المدجج بالأسلحة ضد كل حر أعزل في هذا الوطن ليس علامة قوّة، بل هو من أوضح مظاهر الضعف والإفلاس القيمي والأخلاقي، وهو بشير بقرب تحقيق الوعد الإلهي للمظلومين بالنصر، وقد قضى الله قضاء لا مرد له فقال «إنه لا يفلح الظالمون»، وقضى سبحانه أنه «لا يهدي القوم الظالمين»، فهل يملك أحد أن يبدل كلمة الله؟.

سمع ابن عباس رضي الله عنهما كعب الأخبار يقول: من ظلم حرت بيته، فقال: تصدّيقه في القرآن: «قَتَلِكْ بِيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا». وقيل: الظلم أَدْعَى شَيْءَ إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ وَتَعْجِيلِ يَقْمَةٍ. وقريباً ترى سقوط الانقلاب الظالم تصديقاً لوعد الله إن شاء الله.

#### دعاء المظلومين سلاح بتار

إن دعوة المظلوم -وبخاصة في جوف الليل- سلاح من أمضى الأسلحة التي يغفل عنها الظالمون، بل هم يستهترون بها، بعد أن صارت قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، فهم في غرة آمنون من مكر الله، مستهترون بالدعاء وآثاره.

ويذكر لنا التاريخ أن بعض الظلمة قال له أحد المظلومين: أتق الله، وكف عني، وإلا دعوت الله تعالى عليك؛ فقال الظالم: ادع بما شئت؛ فما مضت أيام حتى أخذ الظالم وعذب، فكتب إليه المظلوم:

أتهزأ بالدعاء وتردّيه وما تدري بما صنع الدعاء

سَهَامُ اللَّيْلِ لَا تَهْدَأُ وَلَكِنْ لَهَا أَجَلٌ وَبَلَدٌ جَلَّ أَنْتِهَاءُ

ولم لا، والنبى صلى الله عليه وسلم نفسه كان يتعوذ بالله من دعوة المظلوم، ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السقر ... ومن دعوة المظلوم».

والله سبحانه وتعالى قد تعهد بإجابة دعوة المظلوم، فقال صلى الله عليه وسلم: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بيته وبين الله جباب»، وقال أيضا: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده»، وقال أيضا: «دعوتان ليس بينهما وبين الله جباب: دعوة المظلوم، ودعوة المرء لأخيه يظهر الغيب».

وحتى لو كان المظلوم فاجراً أو كافراً، فدعوته مستجابة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً فمجوره على نفسه»، وقال أيضا: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها جباب»، ومما جاء في صحيح إبراهيم عليه السلام: «أيها الملك المسلط المبتلى المغرور، لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أزدها وإن كانت من كافر».

فالإجابة لدعوته؛ لأنه مظلوم، لا لشخصه، فكيف إذا كان المظلوم من أهل التَّقوى والخير والإصلاح؟!

ذلك أن المظلوم يسأل الله حقه، والله هو الحق المبين، لا يمنع أحدا حقه، وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: «يا علي اتق دعوة المظلوم فإنما يسأل الله حقه، وإن الله لن يصعب لذي حق حقه».

### سرعة إجابة دعوة المظلوم

إن دعوة المظلوم تفتح لها أبواب السماء، وتصدع إلى الله بأسرع من البرق، فعن أبي الدرداء قال: «إياك ودعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كسرايات نار حتى تفتح لها أبواب السماء»، وقوله «كسرايات»: كناية عن سرعة الوصول.

قال الحكماء: «أقرب الأشياء: صرعة الظلوم، وأنفذ السهام: دعوة المظلوم، ومن طال عدوانه زال سلطانه».

حف دعوة المظلوم، فهي سريعة طلعت، فجاءت بالعداب النايل

وعن أبي الدرداء قال: «إياكم ودعوة المظلوم وبكاء اليتيم، فإنهما يسريان بالليل والناس نيام»

فكيف إذا كان المظلوم يتيمًا قتل أبوه أو أمه أو ابنه أو ابنته أو أخوه أو أخته أو زوجته أو عائلته، بغير حق؟ فكيف إذا خُيست أم اليتيم المظلومة بعد استشهاد أبيه على يد الظلمة؟.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تمام عينك والمظلوم منتهى يدعو عليك وعين الله لم تتم

قال بعض السلف: «دعوتان أرجو إحداهما وأخاف الأخرى: دعوة مظلوم أعنته، ودعوة ضعيف ظلمته».

تصور حال ذلك الظالم المخدول، وهو فرج يظلم الناس، صلحا وكبرا، أو سفها وجهلا، بنام ملء عينيه، وأولئك المظلومون قائمون يدعون الله عليه، ويجارون إليه بأن ينتقم منه، يُشئت سلمه، ويُعجل عقوبته، ويُنزل به بأسه، ويُجل عليه سخطه، ويأخذه أخذ عزيز مقتدر. وقد قيل: إنما تندمل من المظلوم جراحه إذا انكسر من الظالم جناحه.

بقي، ولبغي سهام تنظر

أنفذ في الأحشاء من وخر الإبر:

سهام أيدي القاتين في السحر

### هل يتذكر الظالمون؟

مما لا يدركه الظالم الغارق في غفلة المغتر بما آتاه الله من أسباب الغلبة أن فوقه من هو أقوى منه، فعن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا: «اعلم أبا مسعود، لله أقدرك عليك منك عليه» فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفتك النار أو لمسك النار».

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبتى بأظلم

وقيل: إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك.

كلما اشتد الظلم قوي تأثيره في النفس فاشتدت صراعة المظلوم، فقويت استجابة دعائه، وقد روى وهب بن منبه قال: بني جبار من الجبابرة قصرا وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخا تأوي إليه، فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى الكوخ، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لامرأة فقيرة تأوي إليه، فأمر به فهدم، فجاءت العجوز فرأته مهذوما، فقالت:

من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه، فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت: يا رب إذا لم آكن أنا حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من كان فيه، فقلبه.

ومما كان يكتب به عمر بن عبد العزيز إلى ولاته: «أما بعد، فإذا دعيت فدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله على عقوبتك، وذهاب ما تأتي إليهم، وبقاء ما يؤتى إليك، والسلام».

وقال أحد السلف: «ما هبت أحدًا قط هبتي رجلا ظلمته، وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول: حسبي الله، الله بيني وبينك!».

وفي بعض الآثار: «يَقُولُ اللَّهُ: اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا غَيْرِي»، وفي بعضها: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعَزَّيْتُ وَجَلَلِي لِأَنَّتَقَمَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقَمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ».

### دائمًا يتأخر الظالمون في قهوم الدرس

مع أن الله يضرب لنا الأمثال في إهلاك الظالمين حينًا بعد حين، إلا أن كل ظالم يتصور أنه استثناء من قانون الله في أخذ الظالمين، ولا يعي الدرس إلا بعد أن يصبح هو درسًا وعبرة، وقبل ثلاث سنوات قال طاغية تونس لشعبه بعد فوات الأوان: «أنا فهمتكم»، وهو ذات المنطق الذي سبق إليه فرعون الذي ظل على بغيه وعدوانه ﴿صَتَىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ومن الدروس المشهورة في تاريخنا: نكبة البرامكة، تلك الأسرة التي تولت الوزارة في الدولة العباسية، فعاشت في الأرض فسادًا، فلما دارت عليهم الدائرة، قال أحدهم لأبيه وهم في القيود والحبس: يا أبت، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس! فقال له أبوه: «يا بُنَيَّ، دَعْوَةُ مَظْلُومٍ سَرَتْ بِلَيْلٍ، غَفَلْنَا عَنْهَا وَتَمَّ يَغْفُلُ اللَّهُ عَنْهَا» ثم أنشأ يقول:

رَبِّ قَوْمٍ قَدَّ عَدَوًا فِي نِعْمَةٍ زَمَانًا وَالدَّهْرُ رِيَانٌ عَدَقَ

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ ابْكَاهُمْ دَمًا حِينَ تَطَقَ

وفي تاريخنا القريب، كان حمزة البسيوني أحد الذين يعدُّون الإخوان المسلمين في سجن جمال عبد الناصر، ويقول في كلمة له ساقطة: «أين إلهكم لأضعه في الحديد؟» ثم دارت عليه الدائرة فحُبس في ذات السجن مدَّة، ولما أُخرج منه اصطدمت سيارته -وهو خارج من القاهرة إلى الإسكندرية- بشاحنة تحمل حديدًا، فدخل الحديد في جسمه من أعلى رأسه إلى أحشائه، وعجز المنقذون أن يخرجوه إلا قطعًا! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِينَ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّإِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

### وختامًا..

ففي قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ وعيد للظالمين، وتعزية وبشارة عظيمة للمظلومين، أن نصر الله له قريب، هذا في عموم المظلومين المسلم والكافر، فكيف إذا كان المظلوم أمة مسلمة لله، والظالمون يبالغون في ظلمهم؟.

ما علينا نحن المظلومين ونحن نقوم بثورتنا الرائعة وفعاليتنا السلمية المبدعة إلا أن نستمدَّ النصر بالدعاء والابتهال والتضرُّع بين يدي الله أن يعجل نصرنا، وأن يخذل ظالمنا، وإثقين أن الله تعالى سيجيب دعائنا نحن المضطرين، حتى لو تأخرت الإجابة حينًا في نظر الناس، فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْعُقَابِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَعَزَّيْتُ وَجَلَلِي؛ لَأُنْصِرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ». وتأمل قول ابن عطاء الله: «لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد».

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْعِزَّةِ الَّتِي لَا تَضَامُ، عَلَيكَ بِالظَّالِمِينَ الانْقِلَابِيِّينَ، وَبِمَنْ حَمَى لَهُمْ ظَهْرًا، وَبِمَنْ أَطَاعَ لَهُمْ فِي الْبَاطِلِ أَمْرًا، وَبِمَنْ سَوَّغَ لَهُمْ مُنْكَرًا، وَعَلَيْكَ بِمَنْ قَتَلَ الْأَبْرِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَبِمَنْ اعْتَقَلَ الشَّرَفَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَبِمَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ وَالسُّلَمِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، اللَّهُمَّ لَا تُضِلِّحْ لَهُمْ عَمَلًا، وَلَا تُحَقِّقْ لَهُمْ رَغْبَةً وَلَا أَمَلًا، وَزِدْهُمْ يَا رَبَّنَا سَفُوحًا وَمَسَلًا، وَلَا تَرْفَعْ لَهُمْ رَابِعَةً، وَلَا تُحَقِّقْ لَهُمْ هَدْمًا وَلَا غَايَةَ، وَأَخْزِهِمْ وَاجْعَلْهُمْ لِلنَّاسِ عِبْرَةً وَأَيَّةً، وَكُتِّيفَ عَنَّا النُّعْمَةَ، وَاجْمَعْ لَنَا الْكَلِمَةَ، وَأَيِّمْ عَلَيْنَا النُّعْمَةَ، وَخُذْ بِأَرْئَانَا مِمَّنْ ظَلَمْنَا، وَأَرْئَانَا فِيهِ ثَأْرًا، وَأَمِّرْ بِذَلِكَ عِيُونَنَا، وَخُذْ بِأَرْئَانِ الْأَرَامِلِ وَالشَّكَاكِي وَالْيَتَامَى مِمَّنْ قَتَلَ أَوْ أَمَرَ بِقَتْلِ أَوْ حَرَّصَ عَلَى قَتْلِ ذَوِيهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَاحْفَظْ بِلَادَنَا أَمْنَةً مُطْمَئِنَّةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

